

الطاوية

obeikandi.com

الطاوية :

مجموعة مبادئ، تنقسم لفلسفة وعقيدة دينية، مشتقة من المعتقدات الصينية الراسخة القدم. من بين كل المدارس العقلية التي عرفت بها بلاد الصين، تعتبر الطاوية الثانية من حيث تأثيرها على المجتمع الصيني بعد الكونفشيوسية.

تعريب الكلمة: الهدي، الطريقة أو الطريق، الذي يسلكه أتباع الديانة، اسمهم المهديون أتباع الهدي، وديانتهم الهداية.

تقعيد:

حين بدأت الديانات الإبراهيمية (يهودية، مسيحية، إسلام)، بدأ أتباع الهدي من الأسفل إلى العالم العلوي. راقب قدماء الصينيين الإنسان ببساطة، ثم جردوه من غلافه للمقارنة بينه وبين الحيوان، فظهر جلياً أن الأشياء الحية المتطورة لها أصلان، ذكري وأنثوي، متضادان، متحدان (الأنثوي واليانغ الذكري)، منبهما شيء له صفتان، غموض أنثوي ونشاط ذكري، أصل كل الأنواع على الأرض وغيرها، التاو، طاو، أو الهدي كما يعربه البعض.

لو كانت فرصة، للاحظ القدماء أن البكتيريا تتواصل أيضاً، بأعضاء شبه تناسلية، مع أنها تعتبر الكائنات البدائية.

تقديم:

الطاوية، بالمعنى المتداول اليوم، تشمل تيارين أو مدرستين متباينتين: مدرسة فلسفية، نشأت أثناء الفترة الكلاسيكية لحكم سلالة «تشو» في الصين، المدرسة الثانية عبارة عن مجموعة من معتقدات الدينية، طورت خمسمائة سنة بعد المدرسة الأولى، وفي ظل حكم سلالة «هان».

يطلق اليوم على هاتين المدرستين:

✳ الطاوية الفلسفية .

✳ والطاوية الدينية . على التوالي .

نشأت المدرسة الأخيرة بعد ظهور أحد الحكماء واسمه «لاو-تسه»، قام الأخير بإملاء تعاليمه على أحد المنتسبين إلى المدرسة الطاوية الأولى وهو «تشانغ داولنغ»، وقعت هذه الأحداث في جبال السيشوان، ويؤرخ البعض أحداثها سنة ١٤٢ بعد الميلاد. على الرغم من التأثيرات ذات الطابع الديني والمأخوذة من المعتقدات القديمة للأهالي، الديانة الشامانية، الكهانة أو الشعوذة، على رغم كل هذه التأثيرات استطاعت المدرسة الطاوية الفلسفية الحفاظ على نفسها، في نفس الوقت شقت الديانة الطاوية لنفسها طريقًا وسطًا، ويتجلى تأثيرها أكثر في الثقافة الشعبية الصينية.

مصطلحات:

قد تلاحظ أن التسمية العربية للفلاسفة الصينيين لها نفس مشاكل التسمية في لغات أخرى، فتشوانغ تسو مثلاً، هو شوان زي، حين يسمى بالإنجليزي .

النشأة:

ظهرت وتطورت المدرسة الطاوية الفلسفية أثناء الانتعاش الفكري الذي صاحب فترة حكم سلالة «تشو»، عرفت الفترة ظهور العديد من المدارس الفلسفية، كانت تتنافس مع بعضها حتى تحظى بشرف تقديم النصائح للحكام (في المقاطعات)، حول الكيفية الأمثل حتى يحيا حياة أفضل وحتى يحسنوا تسيير الأمور في عالم تتسارع فيه وتيرة التغيرات السياسية والاجتماعية .

تدعو هذه المدرسة إلى احترام الذات والانعزال عن الحياة العامة، تفرعت هذه المبادئ عن التقاليد الصينية القديمة للتصوف والعبادة التأملية والتي ارتبطت باليوغا. قام الفيلسوف «تشوانغ تسو» بتطوير هذه المبادئ في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد.

التعاليم:

يمكن العثور على تعاليم ومبادئ المدرسة الطاوية الفلسفية بيت دفتي اثنين من أهم المصنفات: الأول وهو الـ «داودي جينغ»، ألفه «لاوتسو» في القرن الثالث ق.م.، المصنف الثاني أو الـ «تشوانغ تسو»، ويضم مجموعة من الأمثال والمواعظ، صنفه «تشوان غتسو» في نفس الفترة السابقة تقريبا (القرن الثالث ق.م.).

حتى يكون الإنسان في حالة تناغم مع الـ «طاو»، وجب عليه أن يمارس الـ «لا فعل» «وو واي»، أو على الأقل اجتناب كل الأفعال الناتجة عن الغضب (الإجبار)، الاصطناع أو الغير خاضعة للطبيعية.

عن طريق التناغم التلقائي مع نزوات طبيعته الذاتية الأساسية، وترك كل المعارف العلمية المكتسبة، يتحد الإنسان مع «الطاو» ويستخلص منه قوة غامضة «دي»، بفضل هذه القوة يستطيع الإنسان تجاوز كل المستحيلات على ذوي البشر العاديين، على غرار الموت والحياة.

اعتبرت المدرسة الطاوية المبكرة هذه القوى بأنها سحرية، فيما اعتبرها كل من «لاوتسو» «وانغ تسو» قوى ناتجة عن أهلية الشخص «استحقاق»، وعوامل الطبيعية والتلقائية.

انتقد «تشوانغ سو» ما كان يذهب إليه كل من «كونفيشيوس» وأتباع مدرسة «موتسه»، من أن الحكمة الإنسانية وحدها يمكن أن تقود إلى

استكشاف الـ «طاو»، كان يعتقد أن التمييز «الذاتي، التلقائي» للأفكار التصورية هو المسؤول عن انفصال الإنسان عن الـ «طاو».

على الصعيد السياسي، دعا أتباع الطاوية إلى العودة لنمط الحياة الفلاحية البدائي. في كتاب الـ «داوديجنغ» ينطبق مبدأ الـ «لا فعل» على الحكام أيضا على غرار محكوميه، فلا يترتب عليهم أي فعل حتى يضمنوا أنهم ورعيتهم يعود كل طرف بالمنفعة على الآخر. إلا أن «لاو-تسه» كانت له مآخذ على بعض الآراء السطحية لـ «تشانغسي» كان الأول ينصح الحكام بأن يعملوا حتى تكون بطون الرعية ملانة فيما تكون عقولهم خاوية، كان يرى أن الجهل يؤدي إلى نزع الرغبة في نفوس الناس.

كان «لاوتسو» يقارن الأفراد من أبناء الشعب بكلاب القش التي تستعمل في مراسيم الأضاحي، كان يتم مراعاتهم قبل موعد الطقوس، ثم يتم رميهم والتخلص منهم بمجرد انتهاء هذه المراسيم. كان النظام المثالي في رأي «لاو-تسه» هو النظام الشمولي الذي يقوده ملك - فيلسوف، أما الرعية فيجب أن تكون مسالمة ومطوعة لأقصى درجة لهذا الحاكم.

ترك هذا الأخير أثراً بالغاً في إحدى المدارس الفلسفية ذات التوجهات الشمولية، والتي أنشأها «هان فاي تسي».

على عكس «الكونفشيوسية» والتي كانت تدعو الفرد إلى الانصياع إلى النظام التقليدي، كانت مبادئ الطاوية تقوم على أنه يجب على الإنسان أن يهمل متطلبات المجتمع المحيط، وأن يبحث فقط على الأشياء التي تمكنه من أن يتناغم مع المبادئ المؤسسة للكون، أو «طاو» (طريق).

يقول «مينغ-تسي» (من أتباع المدرسة الكونفشيوسية) وهو يصف أتباع «لاوتسو»: «لن يضحوا ولو بشعرة إذا توجب ذلك لإنقاذ العالم».

تطور فلسفة الهدي مع ظهور الكونفوشية

الـ «ين واليانغ» في التايجيتو، شعار الفلسفة. عرفت الصين خلال تاريخها (تاريخ الصين) اضطرابات عديدة وشديدة (الممالك المتحاربة، انقلابات على أنظمة)، جعل فلاسفة تلك المرحلة في عودة إلى الماضي، مستلهمة البساطة، السكينة، من سداجة الناس، راجية الإبقاء على الأمور في حالة سكون، تفادياً للفوضى.

نقرأ كيف أن «لاوتسو - وتشوانغ سو» انتقدا في كتاباتهما، نهم الإنسان نحو العلم والتطور، آخذين عليه إهماله للسكينة ووداعة العيش. هذه النظرة لامت أيضاً «كونفوشيوس» وأتباعه في سيرهما نحو نزع الأمية من المجتمع الصيني، وسعيه الحثيث في تغيير السياسات المطبقة.

مع هذا، اعترف «كونفوشيوس» نفسه بأنه على الهدي، على الطاوية القديمة، هذا ما دفع «كسون زي» أحد أتباع «كونفوشيوس»، للمزج بين الهدي كالتريقة الأولى والواحدة، وبين الكونفوشية (كونفوشيوسية) التي تدعو للتطور.

قال «كسون زي»، في كتاباته: كل شيء يتغير، تماماً مثل الهدي، الذي هو في تغير دائم. وأعطى مثلاً، حيث يطالب أتباع الهدي بالمحافظة على الصحة الجسمية والعقلية، وقارنها بالطبيب المهدي الذي يسعى حثيثاً في بحثٍ حول أنجع الأدوية تفادياً للأمراض.

ظهر بعدها أن الكونفوشية، مجرد نهج في طريق الهدي، وأن الهدي، هو أساس الفلسفة أخيراً.

obeikandi.com